الرّدّ المقنِع على قول كلّ مبتدِع: لماذا تزوّج صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربَع

2022-05-27

الحمد لله الحكيم الذي أتقن ما خلَقَه وأجاد. وخَصّ مَنْ شاء بما شاء وأراد. أرسل رسوله سيّدَنا ومولانا محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلَّم إلى كافّة النّاس بشيرا ونذيرا. وداعيّا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، واختصّ زوجاته الطاهرت بالتكريم تشريفا لهنّ وتوقيرا، فقال في مَعْرَض الثّناء عليهنّ كما في سورة الأحزاب. تنبيها للأُمّة وتذكيرا:((النَّبِيءُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ. وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ. وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا . كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورً)). فهنّ أمّهات المؤمنين، وحليلات رسولِ ربِّ العالمين، صلّى الله عليه وآله وسلَّم في كل وقت وحين. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. الواحد القهّار، عالِمُ الجَهْرِ والإسْرارِ، جعَلَ في أخْبارِ الصّالحاتِ عظيمَ العِظَةِ والإعْتِبارِ، خصوصا أمّهات المؤمنين زوجات نبيّنا المختار. صلّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأزواجه الأطهار. ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)). وأشهدُ أنَّ سيّدنا محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ. وصفيّه من خلقه وخليله. أفضل هذه الأمّة جهاداً وفداءً، وأعظمها قدوة واطصفاءً، إختار له ربّه من الأصحاب أفضلهم صفاءً ووفاءً، ومن الزوجات أطهرهنّ طُهراً ونَقاءً، فكنّ له في الدنيا والأخرى، وحُرِّمْنَ على غيره من الورى. وشرّفهنّ الله بما يُتلى عليهنّ من القرآن والحِكمة في بيوتهنّ. فقال سبحانه في سورة الأحزاب مخاطبا إياهنّ:((وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلى في بُيوتكنّ من آياتِ اللهِ والحِكمة، إنّ الله كان لطيفا خبيرا)).

اللهُ أَوْلاَهُ مِنْ إِكْرَامِهِ كَرَمًا * وَدَارُهُ لِاِحْتِرَامٍ أَصْبَحَتْ حَرَمًا
وَمَنْ يُصَلِّ عَلَيْهِ فَازَ بَلْ غَنِمَا * وَمَنْ يلُوذُ بِهِ هَيْهَاتَ أَنْ يُظَمِ

صَلُّوا عَلَى المُصطَفَى يَا سَادَةَ الأُمَمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَى سيِّدِنَا محمّدٍ. وعلى آله وأزواجه. ينابيع إحسانه وبرّه. وصحابته الملحوظين بعين عنايته ونصره. صلاة تحفظنا بها من نكبات الدهر وشرّه. وتنجينا بها من سطوة كل ظالم وقهره. وتحمينا بها من حيلة كل محتال وغدره. وتكفينا بها شرّ كل مَن رامنا بسوء وتردّ كيده في نحره. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. قدّمنا لكم في بداية شهر شوّال أنّنا نتذكّر فيه زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزوجتيَه السيّدة عائشة والسيّدة أُمّ سلمة رضي الله عنهما، وزواجه صلى الله عليه وسلم من المسائل التي ما فتئ أعداء وأدعياء الإسلام ينشرونها ويروِّجون لها، فيَنفثون فيها نَفْث النفاثات في العقد؛ فيتساءلون: لماذا تزوّج صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع؟ واليوم في إطار العودة لهذه السيرة العطرة. وفي إطار الرد على هؤلاء. نكشف الستار عن مراحل حياة النبي صلى الله عليه وسلم الزوجية، وبتتبّع مراحل حياته الزوجية صلى الله عليه وسلم نستكشف الحقائق التي تردّ على تُرّهات أولئك الزنادق وهؤلاء البيادق. أيّها المسلمون. إنّ حياة النبي صلى الله عليه وسلم الزوجية قد مرّت عَبْر أربع مراحل: المرحلة الأُولى: منذ النشأة حتى سنّ الخمس والعشرين (1 - 25)؛ كان صلى الله عليه وسلم أعزب لم يتزوّج، ولم يُسجَّل عنه أنه صلى الله عليه وسلم وقع في نزوة بدافع شهوة، أو في سهرة من أجل نشوة؛ بل كان معروفا بالعفّة والأمانة. حتى لُقّب بالأمين، ومن المعلوم أنّ هذه الفترة هي في ذروة الشهوة ويسمّونها اليوم (المراهقة). وبناء على عفّته المعروفة عنه صلى الله عليه وسلم طلبته أُمّنا السيّدة خديجة رضي الله عنها للزواج بها. بعد أن رفضت كل مَن تقدّم إليها. وأمّا المرحلة الثانية: فمن سنّ الخمس والعشرين إلى الخمسين (25 - 50). تزوّج صلى الله عليه وسلم بأُمّنا السيّدة خديجة رضي الله عنها. وعمرها أربعون سنة وهو أصغر منها بخمس عشرة سنة، وكانت متزوّجة قبله برجلَيْن. ولها أولاد،

ولم يتزوج بغيرها طيلة خمس وعشرين سنة حتى توفّيت؛ وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم ليس همّه قضاء وطر الشهوة. أيّها المسلمون. والمرحلة الثالثة: من سنّ الخمسين إلى ثلاث وخمسين سنة (50 - 53). لم يتزوّج صلى الله عليه وسلم إلاّ امرأة مسنّة أرملة. هي السيّدة سَوْدة بنت زَمْعة رضي الله عنها، أسلمت فهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، فلمّا رجعت إلى مكة توفي زوجها، وكانت امرأة بدينة ضخمة؛ فانفردت به صلى الله عليه وسلم أكثر من ثلاث سنوات. حتى تزوّج صلى الله عليه وسلم بالسيّدة عائشة رضي الله عنها في شوّال بعد الهجرة؛ وتعدّد الزوجات في عهده صلى الله عليه وسلم كان أمرًا عاديًّا؛ فجُلّ الصحابة رضي الله عنهم عدّدوا؛ بل جُلّ العرب، ولا شيء يمنعه من ذلك، ورغم ذلك إكتفى صلى الله عليه وسلم بواحدة. حتى مضى من عمره ثلاث وخمسون سنة؛ فأين مظاهر الشهوة التي يتشدّق بها غلاة المستشرقين وأذنابهم؟؟ أيّها المسلمون. أمّا المرحلة الرابعة: فمن سنّ ثلاث وخمسين إلى ثلاث وستين سنة (53 – 63). تزوّج صلى الله عليه وسلم عِدّة أرامل لأسباب إجتماعية ودينية. أوّلا: الأسباب الدينية فمنها: من أجل بناء العلاقات بين الصحابة على أُسس التشبيك العائلي. تزوّج صلى الله عليه وسلم بالسيّدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما، ثم بالسيّدة حفصة بنت عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنهما، بعد وفاة زوجها خُنَيْس بن حذافة رضي الله عنه. كما زوّج بِنتيْه رُقيّة وأُمّ كلثوم لعثمان ذي النُّوريْن رضى الله عنه، والبنت الثالثة لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه. ثم تزوّج صلى الله عليه وسلم بالسيّدة زينب بنت جحش الأسدية ابنة عمّته صلى الله عليه وسلم. بعد أن طلّقها زيد بن حارثة. الذي كان صلى الله عليه وسلم قد تبنّاه. وكان يُدعى زيد بن محمد؛ فهدم الله بذلك عادة التبنّي، فأنزل الله تعالى في سورة الأحزاب:((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ))، وقال تعالى:((أُدْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ))، فدُعي بعد ذلك زيد بن حارثة؛ ولذلك تولّى الله تعالى تزويجها في القرآن. فقال سبحانه:((فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا))، وكانت تفتخر على بقية النساء بذلك فتقول: (زوّجكنّ

آباؤكنّ وزوّجني ربي). ولابدّ هنا من التفريق بين التبنّي وكفالة اليتيم؛ فالتبنّي أن تجعله يَنتسب إليك ويرث منك وترثه، أمّا كفالة اليتيم فقد قال صلى الله عليه وسلم فيها:((أنا وكافل اليتيم في الجنّة كهاتيْن)). وأشار بالسبّابة والوسطى وفرَّج بينهما شيئا. أيّها المسلمون. ثم تزوّج صلى الله عليه وسلم بالسيّدة جُوَيْرية بنت الحارث، وهي بنت قائد قبيلة بني المصطلق، تلك القبيلة التي جمعت الجموع للهجوم على المدينة، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سبق إليها بالهجوم فانتصر، وكانت جُوَيْرية من بين السبي، فتزوّج بها صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلمت، فتبوّأت بذلك منصب أُمّ المؤمنين، كانت أسيرة مسبيّة. فحوّلها هذا الزواج إلى أميرة، فكان سببًا في إسلام قبيلتها كلها؛ قالت عنها أمّنا السيّدة عائشة: (لم أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها). ثم تزوّج صلى الله عليه وسلم بالسيّدة أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رملة، رضي الله عنها. وأبوها أبو سفيان كان قبل إسلامه من ألدّ أعدائه صلى الله عليه وسلم، أسلمت رغم أنف أبيها، فلمّا حاول منْعها هاجرت مع زوجها إلى الحبشة؛ ولكن زَوْجها ارتدّ عن الإسلام فتنصَّر، فلمّا رفضت اتّباعه طلّقها. وزادت محنتها في الغربة؛ وهنا تمتدّ يد الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم لترفعها إلى مكانة تتمنّاها وتحلم بها كل مسلمة. منصب أُمّ المؤمنين. فحقّق صلى الله عليه وسلم بهذا الزواج هدفيْن: إجتماعي وهو حماية أرملة. وهدف ديني، وهو الذي تحقّق بعد فتح مكة وإسلام رؤسائها. وعلى رأسهم صهره صلى الله عليه وسلم أبو سفيان وزوجته هند وعائلته، فصار إبنه معاوية أَحد الذين يكتبون الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. ثم تزوّج صلى الله عليه وسلم بالسيّدة صفيّة رضي الله عنها. وهي بنت عدوّه حُيَيِّ بن أخطب من رؤساء اليهود، حتى يرتبط مع اليهود بالعلاقات الأسرية لعلهم يَقبلون بالإسلام، وهم يعرفون أنه الحق كما يعرفون أبناءهم؛ وصفيّة من سِبْط نبيّ الله هارون وعمّها موسى عليهما السلام، ولهذا لمّا وقع سوء تفاهم بينها وبين حفصة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم عيّرتها باليهودية؛ فدافع صلى الله عليه وسلم عنها؛ فقال لحفصة:((ألا تَتَّقِينَ الله يا حفصة؟ إنها لَإبنةُ نبيّ، وإنّ عمَّها نبيّ، وإنها لتحت نبيّ؛ فبِمَ تَفْخَرين عليها؟))؛ ولا يوجد شيء يكرهه صلى الله عليه

وسلم مثل التنابز بالألقاب، وتبادل الشتائم والسِّباب، وهذا ما انتشر فينا اليوم من غير دواع ولا أسباب، فشتّت الأُسَر وفرّق الأحباب. كما تسرّى صلى الله عليه وسلم بأَمَتِهِ السيّدة مارية القبطية رضي الله عنها، وهي مارية بنت شمعون، أهداها له المُقَوْقَس حاكم الإسكندرية، فولدت له إبنه سيّدنا إبراهيم رضي الله عنه، ولكنه توفي صغيرا وهو ابن ثمانية عشر شهرا في ربيع الأوّل من السنة العاشرة؛ وما زال المصريّون يفتخرون إلى اليوم بأنّ إحدى بناتهم كانت من السيّدات الأُولَيَات في الإسلام. أيّها المسلمون. أمّا ثانيا: فمن الأسباب الإجتماعية: فقد تزوّج صلى الله عليه وسلم بالسيّدة زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها بعد استشهاد زوجها عبيدة بن الحارث في غزوة بدر، وكانت تسمّى أُمّ المساكين. لإحسانها إليهم؛ توفّيت في حياته صلى الله عليه وسلم. ولم تمت من زوجاته صلى الله عليه وسلم في حياته إلا اثنتيْن: زينب بنت خزيمة، وقبلها خديجة بنت خويلد. رضي الله عنهنّ. ثم تزوّج صلى الله عليه وسلم بالسيّدة أُمّ سلمة هند بنت أبي أُميّة رضي الله عنها. في شهر شوّال بعد وفاة زوجها أبي سلمة. ومعها ثلاثة أولاد يتامى؛ فضمّهم صلى الله عليه وسلم إليه. وربّاهم فكانوا من أَرِبَّائه صلى الله عليه وسلم. وفَضْل كفالة اليتيم عظيم. حثّ عليه صلى الله عليه وسلم بفعله وقوله. ثم تزوّج صلى الله عليه وسلم بالسيّدة ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها. سنة سبع في عُمرة القضاء. خالة عبد الله بن عباس. وهي أرملة. ثم بنى بها في مكان قُرب مكة إسمه سَرِفْ. وتوفّيت في عين المكان بسَرِفْ. بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة، وقبرها هناك معروف إلى اليوم، وكل قبور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بالبقيع في المدينة المنوّرة. إلا اثنتيْن: ميمونة بسَرِفْ، وخديجة بمقبرة الـمَعْلَاة بمكة. أيّها المسلمون. فهؤلاء زوجات النبي صلى الله عليه وسلم؛ ستّ من قريش: خديجة بنت خويلد، وسَوْدة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأُمّ سلمة، وأُمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وأربع من العرب: زينب بنت خزيمة، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وميمونة بنت الحارث، وواحدة من اليهود وهي صفية، ولم تَمُتْ من زوجاته صلى الله عليه وسلم في حياته إلا اثنتان: زينب بنت خُزَيْمة، وقبلها خديجة بنت

خُوَيْلد. وتوفي صلى الله عليه وسلم وترك التسع الباقيات. رضي الله عنهنّ أجمعين. أيّها المسلمون. من خلال ما سبق نتعلّم ما يلي: أوّلا: الأصل في الزواج واحدة؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يُعدّد طيلة حياته حتى بلغ ثلاثا وخمسين سنة، والله تعالى يقول في سورة النساء:((فَإِنْ خِفْتُمُ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً))؛ فإن خِفتم الوقوع في الظُّلْم وهو المتوقَّع اليوم فارجعوا إلى الأصل وهو واحدة. ثانيا: الزواج بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس أمرًا عاديًّا؛ بل هو منصب ديني. ما مِن إمرأة مسلمة إلا وكان أُمنيتها، منصب (أُمّ المؤمنين). الذي يقول الله تعالى فيه:((النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ))، وبتعبير العصر السيّدة الأُولى ليس في بلد معيّن؛ بل في الأُمّة كلها، وليس في زِمام محدَّد؛ بل عَبْر القرون كلها. ثالثا: كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغلّ كل شيء في سبيل نَشْر الإسلام حتى زواجه، فقد تزوّج من بنات رؤساء القبائل ليقربّهم إلى الإسلام، وليخلق روابط المصاهرة بينه وبينهم، يؤلّف بها قلوب القبائل لنشْر الإسلام، خصوصا إذ كان من عادة العرب أن يحموا أصهارهم وأزواج بناتهم، ولهذا يسمَّوْن في اللغة بالحَمَوْ والأَحِمّاء؛ لأنّ القبيلة تحميهم وتدافع عنهم. أيّها المسلمون. أمّا رابعا: فالإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أحواله كلها واجب؛ واتّباعه في عاداته وعباداته مطلوب؛ والله تعالى يقول:((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ))؛ وللنبي صلى الله عليه وسلم بيت، ولكل بيت أسرار، ولكل سر أستار؛ وأسرار النبي صلى الله عليه وسلم من وراء هذه الأستار كلها شَرْع وسنّة ودين ومِلّة، ولا يوجد أحدٌ يستطيع تحمُّل الشريعة من داخل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إلا زوجاته؛ فمَن الذي يستطيع أن يُعلّمنا كيفيّة غُسل الجنابة، والسنّة في الإستنجاء، وآداب قضاء الحاجة، وآداب النوم، وقيام الليل، وغير ذلك من الأمور الخاصة غير أُمّهات المؤمنين؟ ولهذا تزوّج صلى الله عليه وسلم في العشر الأواخر من عمره. وهو في المدينة بأكثر من أربعة؛ لأنّ الفترة المدنية هي زمن الأحكام والتشريع؛ بينما اكتفى طِيلة ثلاث وخمسين سنة وهو في مكة بواحدة؛ لأنّ الفترة المكية هي زمن ترسيخ العقيدة، والشريعة فروع وجزئيات، والعقيدة أصول وكليات. فَرَضِيَ اللّهُ تعالى عن أمّهات المؤمنين وأَرْضَاهنّ. وَأكرَمَ مَثْوَاهنّ. ونفعنا ببركاتهنّ

وبمحبتهن. ورزقنا زيارتهنّ. وَحَشَرَنَا معَهَنّ تحتَ لِوَاءِ حَبِيبِه سيّدنا محمّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في جنّات ونهر، في مقعد صِدْق عند مليك مقتدِر، اللهم وانظِمْنا في سِلْك وِدادهنّ. ولا تخالِف بنا عن نهجهم القويم وسنّتهنّ. اللهمّ إن عجزتْ أعمالُنا الصالحة أن ننال بها مرضاتِك. فبلّغنا اللهمّ بحبّنا لنبيّك وصحابته وآل بيته وأزواجه جنّاتك، واجعلنا ممّن دخل في حِصْنهم الحصين. وظلّهم الظليل. واكتسب بمحبّتهم والثناء عليهم العمل المتقبَّل والثواب الجزيل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ